خلال النصف الاول من العام ١٩٧٤. فقد كثّف سفيرا الاتحاد السوفياتي، في دمشق نورالدين محيي الدينوف وفي بيروت سرفار عظيموف، اجتماعاتهما بالزعيم الفلسطيني؛ وأيضاً عندما حضر غروميكو الى دمشق، في بداية أيار (مايو)؛ وفي نهاية الشهر عينه. وقد تناولت اللقاءات تلك الدور الفلسطيني بعد مرحلة فصل القوات على الجبهة السورية، وموقف الاتحاد السوفياتي من الدولة الفلسطينية، اضافة الى دعوة عرفات الى زيارة الاتحاد السوفياتي[٨٣]. واذا كان هذا هو الوجه الظاهر من العملة، فان وجهها الآخر كان جهد وزير الخارجية السوفياتية في اقناع المنظمة بالمشاركة في الجهود المبذولة لاقناع الاطراف الاخرى التي يشملها الموضوع. هنا، أيضاً، كان موقف الاتحاد السوفياتي معرّضاً لتحوّلات متنوّعة، مظهراً عدم الثبات على موقف، وعلى الكثير من المناورات التكتيكية. وبالفعل، فقد تجاهلت موسكو الفلسطينيين، تماماً، في الاشارة الى المفاوضات المتعلّقة بقرار وقف اطلاق النار في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، وكانت راغبة جداً في عقد مؤتمر جنيف من دونهم، متذرّعة بالصيغة غير المؤيدة، وهي ان وجود مشاركين أكثر في أزمة الشرق الاوسط يمكن ان يتقرّر من خلال المؤتمر ذاته[٨٤]. أكثر من ذلك، أظهر الاتحاد السوفياتي، بين العامين ١٩٧٣ و١٩٧٤، انه يدعم حل مشكلة المشاركة من طريق وفد اردني ـ فلسطيني مشترك. وبعد افتتاح مؤتمر جنيف، بدأ يطلق اشارات موحية تركّز على الحقوق القومية للفلسطينيين. وبدأ يدعو، بشكل رسمي، الى المشاركة الفلسطينية في المؤتمر. وقد كانت هذه الدعوة تبدو متعلّقة بالنجاح الدبلوماسي الاميركي في الشرق الاوسط، حيث ان تكرار ذكر الفلسطينيين، وعلى وجه التحديد مشاركتهم في مؤتمر جنيف، قد حدث، تماماً، قبل وصول كيسنجر الى المنطقة من أجل محادثات فصل القوات السورية ـ الاسرائيلية. في هذه المناسبة، أشارت موسكو الى معارضة الولايات المتحدة الاميركية الموافقة على اشراك ممثلي الفلسطينيين، كدليل على ان واشنطن لا يمكن ان يوثق بها. وقد عادت، بقوة، الى هذه النقطة بعد الاتمام الناجح لمحادثات فك الارتباط، في أيار (مايو) ١٩٧٤، ومع ان دعمها المتزايد للفلسطينيين لم يمنعها، خلال محادثات حزيران (يونيو) بين نيكسون وبريجينيف، من التراجع عن موضوع التمثيل الفلسطيني في المؤتمر، حيث أُصدر بيان مشترك عن المحادثات، استخدمت فيه صيغة المصالحة قبل مؤتمر جنيف، جاء فيها: «ان مشاركين اضافيين من المنطقة يمكن ان يتقرّر اشراكهم خلال المؤتمر نفسه»[٨٥].

لكن هذا لم يكن يعني، بأي حال، ان دعم موسكو للفلسطينيين كان مرتبطاً، في ذلك الحين، فقط بمنافسة الاميركيين في نجاحاتهم، بل، أيضاً، بعقد الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة، في حزيران (يونيو) ١٩٧٤؛ تلك الدورة التي اتّسمت بالابتعاد من فكرة الدولة الديمقراطية على كامل التراب الفلسطيني (دون التخلّي عنها رسمياً) في اتجاه فكرة دولة فلسطينية مستقلة تقوم الى جانب اسرائيل. وكان ذلك نتيجة لمناقشات طويلة أُجريت داخل الاطر الفلسطينية. وقد ترجمت السياسة الجديدة بعبارة يمكن من خلالها جعل التغيير مقبولاً من قبل أوسع الاوساط الفلسطينية المعنيّة. ونصّت العبارة الجديدة على استخدام كل الوسائل، وفي مقدّمها الكفاح المسلّح، لتحرير التراب الفلسطيني، واقامة «السلطة الوطنية المقاتلة» للشعب على كل شبر يتمّ تحريره منها[٨٦]. وما هو جدير بالملاحظة، هنا، انه خلال النقاشات الحامية التي سبقت التصويت على الخيار الدبلوماسي داخل أُطر منظمة التحرير الفلسطينية، تبيّن ان التنظيمات التي يصفها السوفيات بأنها «يسارية» و«ديمقراطية»، وفي طليعتها الجبهة الديمقراطية والجبهة الوطنية الفلسطينية، كانت